صورة المرأة في الموروث الشعبي بين الواقعية والتخييل– روايات عزالدين جلاوجي أنموذجا

The image of women in the popular tradition between realism and fiction - the novels of Ezzedine Jalawji as a model -

د.مديحة ســابق
جــامعة خنشلة
sabegmadiha@gmail.com

تاريخ الإستلام : 2024/03/31 – تاريخ القبول : 2024 /05/17 – تاريخ النشر: 2024/06/30

ملخص:

يستند الروائي الجزائري المعاصر في تشكيل خطابه إلى التراث السردي والثقافي العربي الإسلامي، المتشكل وفق رؤية فكرية ونفسية تتطلب تفاعل أربعة أقطاب: الكاتب، القارئ، الشخصيات، اللغة، وهو ما عبر عنه "سعيد يقطين" ب"التفاعل النصي". فقد نشأ في ظل سيادة مطلقة للمشافهة، باعتبارها حاضنة لمكونات تلك الثقافة في مظاهرها الدينية، التاريخية، اللغوية و الأدبية، فظهرت تلك الأنواع السردية الكبرى: الأسطورة والسيرة الشعبية، الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية. والتي عمل الأدباء الجزائريين على إحيائها؛ لإثبات الهوية والأصل والانتماء في صورة همزة وصل بين الماضي والحاضر عبورا إلى المستقبل الجزائري بكل أبعاده وطموحاته، وذلك من خلال الاشتغال على التداخل الأجناسي والانفتاح على التراث محققا نقلة نوعية هامة، بها كسرت الحدود واقتحمت عالم التجريب منتجة مولودا جديدا اكتسح الهوية العربية (الرواية).

الكلمات المفتاحية:السيرة الشعبية، الرواية الجزائرية، التراث،المرأة، الواقعية والتخييل،

summary:

In shaping his discourse, the contemporary Algerian novelist relies on the Arab-Islamic narrative and cultural heritage, which is shaped according to an intellectual and psychological vision that requires the interaction of four poles: the

writer, the reader, the characters, and the language, which is what Saeed Yaqtin expressed as "textual interaction." It arose under the absolute dominance of orality, as an incubator for the components of that culture in its religious, historical, linguistic and literary manifestations, and these major narrative genres appeared: myth and popular biography, the folk tale and the fairy tale. Which Algerian writers worked to revive; To prove identity, origin, and belonging in the form of a link between the past and the present, crossing into the Algerian future in all its dimensions and ambitions, by working on racial intersection and openness to heritage, achieving an important qualitative shift, with which it broke boundaries and broke into the world of experimentation, producing a new birth that swept the Arab identity (the novel).

Keywords : The popular biography, the Algerian novel, heritage, women, realism and imagination.

المؤلف المرسل : د:مديحة سـابق.

1. مقدمة:

لقد أخذت قضية التراث الشعبي حيزا مهما لدى النقاد والدارسين كونها شكلا تعبيريا، استند إليه الروائي الجزائري في نصوصه بأشكاله المختلفة وبأنواعه المتباينة بغية تحميله دلالات معاصرة جديدة، تعكس هموم العصر وقضاياه المختلفة، تجعل التراث من محكيات وأساطير يحيل إلى الهوية الجزائرية التي أصبحت بشكل تيارا لافتا للانتباه يبرز في تحقيق التفاعل بين الزمن والتاريخ واللحظة والإنسان.

فالسيرة الشعبية تضعنا أمام قضايا تراثية متعددة تحاول أن توقظ فينا الشعور بالانتماء القومي حيث يكون موضوعه أدب البطولة، وهي تحرص على الهدف التاريخي في المقام الأول ولا تتحول عنه حتى نهايتها، وأبطالها يتحولون إلى أبطال قوميين، أو بمعنى آخر يتحولون إلى نماذج ورموز بطولية، يضرب بها المثل ويقتدى بها في الشجاعة والبسالة والإقدام والفروسية، ونحو ذلك سيرة عنترة(الله، 2009)، ويمكنها تجاوز هذا المعنى إلى البعد الاجتماعي لها معبرا عن الناس والمجتمع وطريقة الحياة بشكل عفوي جماعي إنه" كل ما تمارسه الشعوب بصورة ثابتة سواء ما اتصل منه بشؤون الحياة اليومية.. والعلاقات الاجتماعية.. والقواعد الفنية التي تجري عليها صنع الأشياء، أو ما يتعلق بطقوس المناسبات والمعتقدات".(بورايو، 2007)

وقد أدرك فن الرواية عند "عز الدين جلاوجي" قيمة إحياء الموروث وتمجيده وتأويله داخل النصوص قدرة كبيرة في التأثير على نفوس الجماهير وفي وجدانياتهم؛ لأنها تحيا في أعماق الناس باعتبارها تتجاوز التاريخ الواقعي إلى الخيال الشعبي، لذا نجد أن "بارت" يلح على أن "السرد بأشكاله اللانهائية حاضرا في كل الأزمنة والأمكنة وفي كل المجتمعات وهو يبدأ مع تاريخ البشرية ذاته ولا يوجد أي شعب دون سرد، فلكل الطبقات ولكل الجماعات البشرية سرودها"(بارت، 1980).

لذا تحاول الرواية الجزائرية المعاصرة استثماره بأنواعه المختلفة، لما تحمله من تفرد وخصوصية (المحافظة على الهوية) من خلال إعادة بعثه داخل النص الجديد في شكل انزياحات ما يخلق تحاورا وتفاعلا يعطي جمالا ووزنا وعمقا بما أثريت من أفكار.

وتسعى هذه الورقة البحثية إلى تتبع صورة المرأة في الموروث الشعبي في الرواية الجلاوجية، وما الإضافات التي قدمها التراث للمنجز الإبداعي السردي؟ وما مدى تحدي الذات المبدعة لهذا الشكل الحداثي؟ وما الرؤية التي قدمها " عز الدين جلاوجي" من خلال هذا التلاقح؟

2. صورة المرأة في الموروث الشعبي بين الواقعية والتخييل:

اتخذت الرواية الجزائرية عند "عز الدين جلاوجي" مسارا متميزا اتخذ محوره العلاقات بين الذات والعالم، الواقع والخيال مؤسسا خصوصية فيما يتعلق بالمرأة كشخصية لها كيان تاريخي قديم، منذ ظهور الإسلام مرورا بالثورة الجزائرية التي أثبتت فيها ذاتها في موقفها إلى جانب الرجل من أجل مصير الجزائر، أما المرحلة الثالثة فلها تفاصيل غريبة فالاستهداف مس كلا الجنسين وبدورها المرأة لم تتخل عن سندها سواء الأب أو الابن أو الزوج في كسر وزعزعة هذه الصورة (العشرية السوداء).

هذه التحولات في المسارات والتصورات أعاد رسم ملامح جديدة تعكس الجوهر والهوية المستقبلية" لتصرخ معبرة عن ألمها ولذاتها.. هي وحدها ما يسمح للجسد الفردي، الواقعي أو المتخيل بسرد حكايته الملونة بأحلامه ورغباته وجروحه العميقة القديمة المتجددة باستمرار" (وآخرون، 1999)، محتضنة الوطن كهوية كما قدمت صورة المرأة في علاقتها بالتاريخي والسياسي، الحضاري والذاتي وكذا التراث الفكري والعقائدي ، وهذا ما يوضحه المقطع الآتي:" قلوب البيوت الواطئة الجاثمة كالوباء.. يتغلغل في أوردة الازقة.. يحدق كالمفجوع عبر كل الجدران..وحدك يا الجازية..

أيتها الوشم الرابض على فوهة المدفع

أيتها الدمعة الحيرى على شفير الوطن..

يا ربيع الشهداء

يا جراحاتهم العبقة بأوسمة الفداء

وحدك يا الجازية... تصهلين في مسمع الليل البهيم.. تدكين عروشه..تمزقين سدوبه..تغتالين همومه.. وهل تقدرين على مقاومة هؤلاء الملايين الذين تفرقوا في كل شبر من المدينة؟"(جلاوجي، راس المحنة، 2004)

برزت صورة المرأة الجزائرية القوية الصنديدة التي لا تأبه العوائق والمصاعب، صنعت إرادتها من حب الوطن وجعلت التضحية سليلا تهب به الحياة للآخرين، سعت لإثبات هويتها وتحقيق ذاتها بأن ترسم ملامح المرأة الجزائرية المتميزة عن الأخريات في كل بقاع العالم.

لقد كانت نبرة الرواية حزينة مسترسلة إلى أبعد الحدود، وهي تقدم هذه الصورة القاتمة، لكن ربحته الجازية على الصعيدين ، وهنا تبرز فاعلية التصوير ودلالات التسمية، فالجازية تسمية لامرأة صنعت وطنا وحكمت شعبا ، ولا تزال المنطقة التي أقامت وسميت بها إلى يومنا هذا بمدينة (أم البواقي)،تعتبر شخصية أسطورية تسيطر على السيرة الشعبية قديما ولا زالت متداولة إلى اليوم في كامل أرجاء الوطن العربي. وهذا يدل على مزج الحقيقة والخيال في إعطاء البعد الدلالي للتسمية وهذا الانتقاء يوحي بتفاصيل تاريخية أراد الروائي استثمارها وتوضيحها للقارئ، حيث نجده "يشعر بالتأثير مع المواقف التي يبتدعها خياله وكثيرا ما يجري المناسبات المحزنة ، أو المناسبات المفرحة، بمشاعره حتى يقوى على سبك الأسلوب، والحوار والنسق العام للأحداث، فالخيال هنا ضروري لاستكمال النقص، لا في مجرد القدرة على خلق الأحداث،وإنما كذلك البراعة التصويرية"(الديدي، 1990).

فالمشروع الروائي عند جلاوجي نهض على هاجس التجريب، الذي من أبرز خصائصه معانقة النص التراثي الشعبي (السيرة الهلالية) المعبق بشذا الماضي ، في صورة التعانق بين الماضي والحاضر بين شخصيتين رئيسيتين في المشهد السيري "الجازية وذياب".

ينحرف الكاتب إلى مسار آخر رومانسي يجمع بين الشخصيتين المركزيتين، تقول الجازية: "كان الجو ربيعا..

وكانت السنابل تمارس طقوس الرقص على إيقاع نسمات الصباح الخفيفة.. وأعشاب الطريق تزحم أقدامنا فتدغدغ أسفل سيقاننا.. أنا وصويحباتي كنا نحث الخطى نحو الطريق العام حيث ننتقل إلى الثانوية بالمدينة..

خلفنا كان ذياب صمتا مطبقا يكاد يلحق بنا..

لحق بي ذياب فتغشاني محفل الفرح..

جاريته خطوات ثم هببت عليه بابتساماتي فتقشعت سحبه..معا أشرقنا على هذا الكون.. وعلى محيا أرضه درجنا ندغدغ تضاريسها بأقدامنا الصغيرة..

كانت أمه خالتي دلولة تأتينا كا يوم وفي يديها شيئ مما حضرت وتقول:

–هذا نصيب زوجة ابني.. الجازية لذياب

وكان أبوه يسعى في إتمام مراسيم الزواج قبل دخولنا إلى الثانوية.."...(جلاوجي، راس المحنة، 2004)

فالكاتب استوحى الملامح التراثية لبطلته "الجازية" من السيرة الشعبية "الجازية الهلالية"، ووظفها توظيفا فنيا في نسيج الرواية، لكنه اعتمد على التسجيلية، بمعنى إضفاء الملامح التراثية الشعبية لبطلي السيرة (الجازية وذياب)، بحيث تنطبق هذه الملامح على البطل في الرواية، حتى أنه "الكاتب" حاول استلهام السيرة الشعبية استلهاما كليا في الرواية فقد تتبع تطور الشخصية ونموها في السيرة وحاول أن يرصدها بحس روائي يقترب من الواقع بإشارته إلى الجانب العاطفي الذي يجمع بين البطلين ويرسخ جانب الحب الذي لا تخلو منه الرواية ويعتبر الخيط العضوي الرفيع لتلاحم النص الروائي، وإغنائه بطاقات دلالية ورمزية تساعد على التكثيف والإيحاء والتخيل وفق ما يخدم فلسفة الإنسان المعاصر ووجهة نظره، وهذا ما يؤكده "الصادق قسومة" قائلا حول شخصيات الرواية " تنتقى ملامحها وسماتها ، ويحدد لها موضعا معينا من عالم المغامرة ويربطها بجملة من العلاقات.(قسومة، 2000).

وبما أن موطن الرمز هو الأدب الشعبي بوصفه أرقى صور التعبير الأدبي، فقد أولاه "عز الدين جلاوجي" عناية فائقة يستخلص منها القارئ أبعادا إنسانية ،تاريخية وحضارية.

وهذا واضح من خلال اهتمامه بالأسماء والتفاصيل لأن (الاسم الممنوح للشخصية يؤدي الوظيفة نفسها في الحياة اليومية، وبذلك يتم التوازي بين نمط التفكير الواقعي كما هو في الحياة، وبين الإبداع الروائي في خلق بنية شكلية متميزة، فالتوازي هو أحد وسائل الإيهام بالواقع، وهو حافز على انتقال الاسم من خارج النص "الواقع" على داخل النص " الإبداع")(مرشد، 2005)أي: أن حضور اسم الشخصية يشكل دعيمة أساسية وعلامة من العلامات التي تحدد سماتها المعنوية ويمثل بتواتره عالما أساسيا في وضوح النص السردي ومقروئيته(صحراوي، 1999)، وكأنه يريد للأسطورة أن تستوفي كل شخوصها وأجوائها، وهدفه من وراء توظيفه لهذا الركام من التراث الشعبي الفولكلوري، جعل الرواية تنحو منحا تجريبيا في اتساع دائرتها وشمول موضوعاتها.

وبما أن موطن الرمز هو الأدب الشعبي بوصفه أرقى صور التعبير الأدبي، فقد أولاه "عز الدين جلاوجي" عناية فائقة يستخلص منها القارئ أبعادا إنسانية ،تاريخية وحضارية. وهو إذ يرثي الماضي، إنما يرثي الحاضر من خلاله، كما أنه في توظيفه للشخصيات التراثية لا يركز على خصوصيتها، بل " يمتص مرجعيتها التاريخية داخل علاقتها الوظيفية الجديدة داخل النص الحداثي"(مجاهد، 1998). وبالتالي فهو بهذا الاستدعاء يحقق وظيفتين دلالية وجمالية.

3. البعد الجمالي لصورة بطل السيرة الشعبية في السرد الجزائري:

يحتل البطل الشعبي موقعا مهما في روايات "عز الدين جلاوجي"، فعليه تدور الأحداث ومنه تتبلور الأفكار والقيم ، فلا يمكن تصور رواية دونها، فهي الحجر الأساس الذي تبنى عليه وتحرك بنيته، يمنحها الحياة ويجعل القارئ يتعاطف معها وجدانيا " يستوحيها الكاتب من العناصر التراثية، ويعتمد سرد واقعها في شكل روائي، وتعتمد الشخصية على التوظيف الكلي للعنصر التراثي وعلى الرؤية الفردية عند الخلاص وتقترب ملامحها من الملامح البطولية الملحمية"(الخالق، 2009)، ولا شك أن مسار الشخصية على المستوى النفسي والاجتماعي والمادي يساعد جوانب كثيرة من القصة على التبلور والتطور والانتشار، نظرا إلى الحيز المركزي الذي تشغله ضمن مكونات الخطاب السردي، فهي نقطة تقاطع بين جميع الأجناس السردية، وعامل تمييزي يفرقها عن أجناس أدبية أخرى متطورة ، متحركة ونامية "يتم تكوينها بتمام القصة، فتتطور من موقف إلى موقف، وفي كل موقف يظهر لنا

تصرف جديد يكشف جانبا منها، فهي تثير دهشتنا وتحرك انتباهنا"، وذلك بخلق تطورات جديدة مستندة إلى قراراتها الصارمة المتحدية المعبرة عن إرادة عالية في كثير من الأحيان، وبهذا تكون الشخصية قادرة على توالدية الحدث والأحداث،(النعمان، 1999)والتي ستصبح فيما بعد المتمركز الأساسي والمهم في إنتاج وإعادة خلق صورة لتجربة تاريخية مقتصدة في الوعي العربي وهويته الجمالية في هذا المجال، بطريقة تفعل النواة الأولى للذات المتمركزة حول البعد التاريخي للهوية الثقافية والجمالية العربية في إنتاج البطل المخلص، الذي يظهر في وقت الانتصار والقوة والسيطرة على الآخر المهزوم،(تستمد أفكارها واتجاهاتها وتقاليدها وصفاتها الجسمية من الواقع الذي نعيش فيه وتكون عادة ذات طابع مميز عن الأنماط البشرية التقليدية، التي نراها في حياتنا اليومية).(عثمان، 1982)

هذا البعد المبني على آلية الوصف كتقنية تعبيرية تساهم في إبراز تقاسيم الشخصية، يبرز جماليتها محاولا إعطائها مميزات تجعلنا نتفاعل معها كأنها واقعية تخوض تجارب معاشة أو يمكن أن تعاش من خلال (البعد الجسمي والملامح الخارجية والقسمات والمظهر العام والسلوك الظاهري للشخصية)(حمدان، 2011)، إضافة إلى تحميلها مواقف ومضامين تعبر عن أيدولوجية الكاتب، فهي تصور أفكاره وآراءه حول قضايا المجتمع المتعددة، ويتضح ذلك من خلال الشخصية البطلة " الجازية"

<<كانت هيفاء ممتلئة خصبا ونماء...سمراء بلون الأرض المعطاء...في عينها حسن متمرد وكبرياء كئيبة...شفتاها ترتجفان كورقتي نعناع يانعة... يداعبها نسيم الصبا... على الجبين تدلت ذؤابة شعر حالكة فرت من سجن الخمار وحصاره...الخمار القوزحي كان يعصر رأسها فيكوره بلورة من كل لون...

ماذا أقول؟ لو بقيت العمر كله أفتش في تضاريس الرأس والوجه... أسجد للحسن فيهما ما وفيتها حق العبودية والإخلاص.آه يالون القمح

ارتميت فوق سريري وبت أعيد إلى ذهني شريط الجلسة التي كنت أستمع فيها لأما.. وأتصفح تضاريس الجازية.. وبت أفكك شفرات العينين وطلاسم الشفاه.. حزن عميق كنت أراه.. حزن عميق لم أعهده على محياها من قبل مطلق..(جلاوجي، راس المحنة، 2004).

القارئ للمقطع السابق يحس كما يتصور الجانب الجمالي الذي تتسم به الشخصية المحورية "الجازية" ، واستطاع الروائي استدراجنا بسحر العبارة وجاذبيتها، ولا شك أن هذا الأسلوب مقصود من الروائي لدغدغة مشاعر القارئ وتحفيزه على مواصلة فعل القراءة وفي ذات الوقت الحوار الداخلي المتأجج حول مقابلة الواقعي بالتاريخي، في محاولة لربط قضايا الذات والمجتمع بالموروث الثقافي الشعبي، وهنا نلمس رغبة في البوح والكشف عن فترة من الفترات الحساسة التي عاشتها الجزائر، فنلمح الروائي يعزف على وتر المجتمع من أجل هدف واحد ألا وهو جذب أكبر مقروئية لنصه إضافة إلى محاولة الإطلاع على الثقافة الشعبية حتى يكشف الوجه الحقيقي لهذا التلاقح.

هذا إن دل، فإنه يدل على اقتناء الروائي الجزائري "عز الدين جلاوجي" لقرائه بصفة نشط، فعال ويحسن فك الرموز والشفرات التي نحت بمنعطفات يصعب تفكيكها لولا الاطلاع مع التركيز ، ما يوضح سمة مميزة للأديب هو أنه متشبع بروح الواقع ،عايش هذه الفترة "العشرية السوداء" والراهن جعله يعيش الواقعين اللذين يمثلان جزء من حياته حملها كل مآسيه، عبر عن انشغالات وجميع المبدعين المنشغلين بالحاضر، والطامح لمستقبل أفضل ما يجعله دائم التفكير والتيهان، فلا فرق بين الجيل القديم والجيل الجديد؛ لأن أشكال الأزمة متعددة مختلفة ومتشابهة، فالوطن واحد والهاجس واحد.

ولذا راح الروائي يجشم نفسه عناء تأدية دور المؤرخ تارة، من خلال التأريخ لحياة الشعوب، ودور المرشد الاجتماعي تارة أخرى، الذي يكرس الأنساق التنظيمية للمجتمع، "وتبعا لذلك، صار الإنسان الاجتماعي المادة الرئيسية في تقديم الشخصيات، وفي ذلك نشدان قوي لشفافية الحقيقة"(reuter p. c., 1998) ؛لأن جمالية النص تكمن بتوظيف الشخصية توظيفا مميزا،عبر العناية الفائقة برسم ملامح الشخصية والتفنن في وصفها، كما لو أنها كائن حي أو شخص من دم ولحم وعظم وكيان نفسي، تمر عليه أضواء التشخيص الجسدي والنفسي من "وصف مورفولوجي: القامة، العينان، الشعر، سحنة الوحه وشكله، الصوت... وصف اللباس... أو اعتمادا داخليا: (أمل/ يأس، فرح/ شقاء، حب/ كره...) إلا وتلتقطه.

ونجم عن الهوس الروائي بتمثل الواقع العيني أن ظهرت الشخصيات بشكل يمكن من تأويل تصرفاتها بعبارات مستمدة من الحقيقة النفسية أو الاخلاقية أو الاجتماعية"(reuter p. c., 1998) ،

وحضورها يغطي على حضور المكونات السردية الأخرى، حيث يجعل الرواية تنبض بالحياة بمختلف المظاهر (الاسم، المظهر الخارجي والداخلي)، وتكون بمثابة مدلول من خلال مجموع ما يذكر عنها من أقوال وتعليقات، أو ما يصرح به، أو ما تسلكه من أفعال وتصرفات.

وعليه، إن الشخصية تغدو علامة جمالية في التجربة الروائية،و " بياضا دلاليا" (هامون، 1990) يقوم بتلوينه بما أكسبها الروائي من دلالات محددة، تحيل على مراجع خارجية تأخذ مساحات تخييلية تتطلب تشكيلا فنيا وعملا خلاقا، يتطلب " نسقا من المعادلات المبرمجة في أفق ضمان مقروئية النص"(عزام، 1996) وهذه الدلالات إنما هي رؤية للواقع السياسي بالجزائر خلال فترتين حساستين متعاقبتين (الثورة والعشرية السوداء)؛فقد استطاع الروائي الجزائري عز الدين جلاوجي معالجة موضوع المحنة بقالب تراثي وبلغة شاعرية تجاوزت النقل الفوتوغرافي السطحي للأحداث بين منظور ورؤية يحملان انزياحا غير مألوف يستند إلى جملة قواعد وضوابط جديدة، تستدعي قارئا نشطا مسلحا بترسانة من المصادر الأدبية والمنابع الثقافية، التي ينهل منها الكتاب والنقاد آرائهم الفكرية، وطرائقهم في الكتابة.

اعتمادا على تحليل الوصف الخارجي للشخصية، لم يضمر الروائي الوصف الداخلي استجلاء لعالم الشخصية الباطني، مؤمنا بأن تلك السمات علامات مميزة توضح الصورة للقارئ وفي ذات الوقت تجعله يلملم شتات الشخصية ويعيش الحدث مع مراعاة الدور المسند لها، هذه الصورة للشخصية لا تكاد تكتمل إلا ببلوغ النص الروائي نهايته. يقول الروائي " أتصفح تضاريس الجازية .. وبت أفكك شفرات العينين وطلاسم الشفاه .. حزن عميق كنت أراه .. حزن عميق لم أعهده على محياها من قبل مطلقا.. كنت أستنطق أطلال الطريق كانت تغرقني بطوفان همومها.. مرض أمها.. واضطراب أبيها.. وبطالة أخيها.. ومضايقة محمد املمد لها..كنت أقرأ في عينيك آيات الحب والحزن .. وكنت أرى دموعا تترقرق في جفنيك حائرة تحاول كبحها وتأبى إلا أن تصرخ معلنة عن وجودها .. أحسست أن صدري يضيق ..

دخلت المكتبة .. سحابة من الكآبة تغشي رفوفها .. وحدها الأوراق تعزف موالها الحزين ..."(جلاوجي، راس المحنة، 2004).

ولقد برز الحوار كتقنية مهمة ساعدت آلية الوصف في الكشف عن السمات الداخلية للشخصية المحورية" الجازية"،

كما مكنت القارئ من الإحاطة بالحالة النفسية المكتئبة التي تعيش إحساس الغربة والضياع في واقع اجتماعي أبى إلا أن يكون خائنا، متأزما، يعيش مفارقات وتناقضات، يميل إلى الهدم والتفكيك، انهيار القيم . لكن ما نلحظه تمرد وجرأة الشخصية في تغيير الأوضاع بمساعدة أسرتها في الانتقال من القرية إلى المدينة من أجل الدراسة وتحقيق مستقبلها، وهذا في حد ذاته تحد بالغ المستوى عمد إليه الروائي؛ لإبراز أهمية العنصر النسوي في صنع الجزائر وأن "صورة المرأة أكثر رهافة وحساسية وأشد وضوحا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل ... كذلك نجد المرأة قادرة على أن تستقطب بحساسيتها المتأنية واتزانها العاطفي مثل مجتمعها وتقاليده بجميع عناصرها استقطابا يبلغ حد الثبات والتكرار، فإذا قلنا طالبة الجامعة، أو المراة العاملة أو الفلاحة... على سبيل المثال فمن السهولة بمكان أن نستحمع في الذهن صفاتها- لا كفرد- وإنما كنموذج يتسم بسمات عامة" (وادي، 1973).

كل هذه الوقفات الوصفية في الواقع لم ترد كإطار وصفي غايته ملء الفراغ، وإنما الأمر يتعلق برؤية الكاتب في تشكيل خريطة المشهد السياسي في الجزائر منذ الاستقلال المتسم بالمؤامرات والانقلابات والأطماع، فلأن ذلك هو جزء من تجربته الواقعية، تجربة وطن وتجربة ذات.

وهو راو لا يكتف بالوصف الموضوعي، وإنما يخضع الموصوفات في الغالب لرؤيته الخاصة، الأمر الذي يجعل الوصف يمتزج بالآراء والمواقف الشخصية له، أما اهتمامه بوصف ملامح الوجه باعتباره أساسيا في السرد الروائي، ومظهرا من مظاهر الحداثة في الرواية الجزائرية المعاصرة.

لذلك يمكن القول عن تلازم المظهرين (الخارجي والداخلي) للتعبير عن حقيقة الشخصية، باعتبارهما<< إضاءة للخصائص النفسية المميزة للشخصية والمحددة لموقعها من الأحداث الموضوعية، إن الانصراف إلى الأحداث الخارجية ليس مبررا كافيا لإهمال الكيان الداخلي(أزرويل، 1998) الذي يعتبر عاملا مهما في عملية التكييف الطبيعي، والتوافق بين مختلف الدوافع والميول والحاجات النفسية وبين معطيات العالم الخارجي.

وهكذا يسهم النص الروائي الجلاوجي في بلورة الوعي عن طريق ربط الماضي بالحاضر، وهو بهذا يحقق صورة إيجابية، نصا مكثف الدلالة، علاقة تواصل بين الفكري والحسي، مزاوجة بين الشعر والنثر، أسلوب يتناسب والرؤية، فهو نص " مفتوح، وتعددي، ومتعد في آن واحد، إنه نص حرباوي وزئبقي لا يمكن الإمساك به... وهو نص تخييلي منسوج من مجموعة من الدوال والمدلولات بطريقة لا يمكن حصرها أو تحديدها دائما. ولذا فإن مهمة النقد تظل دائما تتمثل في محاولة اقتناص ماهو ممكن من المعنى والدلالة عبر مختلف الوسائل والأدوات والاستراتيجيات"(ثامر، 1994)

ليعبر الشعر الرومنسي عن انكسار قلب البطلة الجازية فقررت أن تنقذ الوطن فتعالت الأصوات قائلة: (يالجازية...

بلغ القلب العفن..

انتقضي

حشاشة الروح ترتعش..

سويداء القلب تختنق..

اقتليه..

اشحذي الخنجر المسموم واقتليه..

قتلك ألف مرة..

باع ظفائرك لصعاليك الأرض..

اقتليه..و..

الدم وحده قادر على غسل العار..

ها أنا أجري..

ها عرقي ينساب ..

ها الخنجر يلمع في عيني..

أشده بقوة لا بد أن أغرزه إلى آخره". (جلاوجي ع.، 2004)

إن هذه التعابير والصيغ تأخذ بعدا اجتماعيا، استعاره الكاتب وضمنه موقفا أراد التعبير عنه معتمدا الإطناب في الوصف كإطار مشهدي متعدد الأبعاد، حيث يتم وصف الشخصية بكاميرا

راصدة لكل التفاصيل الدقيقة ، معلنا صراحة المشاركة في الأحداث من خلال الضمير ، وهذا الوصف يحقق الإيهام الواقعي. وهو ليس فقط تقنية من تقنيات تعطيل السرد، بل يسهم في بناء العمل الروائي، وفي هذا الصدد تقول " مها القصراوي": (تعمل الوقفة الوصفية مع المشهد على إبطاء زمن السرد الروائي، حيث يتم تعطيل زمن الحكاية بالستراحة الزمنية ؛ ليتسع بذلك الخطاب ويمتد، فالوصف وقوف بالنسبة إلى السرد، ولكنه تواصل وامتداد بالنسبة للخطاب"(القصراوي، 2004)، لدا تلعب الوقفة الوصفية دورا في تزيين وتجميل النص الأدبي ولا يكاد يخلو منها أي نص سردي.

وفي مقطع آخر يقول: (اجري يالجازية..

مزقي فستان الحداد..

البسي فستان الفرح..

ها ذياب قد أشرق على ربوة القلب ..

ازرعيه فرحا في سويداء حارة الحفرة...)(جلاوجي، راس المحنة، 2004).

حقق المقطعين نقلة كبيرة على مستوى الكتابة الفنية التي مالت إلى التصريح في لغتها الشعرية المنبثقة من الداخلي، والمعبرة عن خفايا النفس في مواجهتها للواقع، وانتهت الرحلة بالفرح والانتصار وتمزيق رداء الهزيمة ؛ فيصبح الخيالي بديلا يعوض الروائي من خلاله عالم رؤاه المبني على امتلاك معرفي وجمالي للواقع، ينضوي على هموم شعب بأكمله، بأشكاله وتناقضاته، هواجسه ومعاناته، مما يقدم لنا أدبا خارقا في فكره ومضامينه، مبنيا على البعد الاستعاري؛ لعمق الأزمة السياسية والاجتماعية، حمل هاجسها مجموعة من المثقفين الجزائريين عاشوا الواقع وعايشوا سنوات الرعب والاغتراب، فانعكس هذا على أدبهم ولغتهم وموضوعاتهم.

4. خاتمة:

اهتم الروائي الجزائري " عز الدين جلاوجي " بصورة المرأة في متونه السردية، لدورها الفعال في كل الأزمات والمراحل التي مرت بها الجزائر، ابتداء بالثورة وانتهاء بالعشرية السوداء، ولا زالت حد الساعة تساهم في ارتقاء الوطن في جل مجالاته، فبرزت كشخصية متميزة استطاعت أن تعبر عن

احتياجاتها النفسية وإبراز مكانتها، ولأن الحاضر امتداد للماضي، فقد مزجه بالأدب الشعبي ، لينتج نصا فريدا ، محلقا في عالم الرمز والإيحاء، ماجعله عنصر جذب للقارئ.

5.النتائج والتوصيات:

– **اتساع الرؤ**ية لدى الروائي في تعبيره عن مرارة الواقع وأزمات الجزائر، جعله يحفر في أعماق التاريخ بحثا عن آليات تجعله يربط الماضي بالحاضر ، لكن هذا يستدعي قارئا متمكنا في مجال الأدب والنقد.

– الاستلهام من مصادر تراثية كالأدب الشعبي يستدعي روائيا مهتما بالإبداع والتميز واللامألوف، فقد خطت أحداث روايته "السيرة الهلالية"، وهذا زاد الرواية عمقا ودلالة؛ لأن الحفاظ على التراث هو حفاظ على الهوية.

– استحضار شخصيات واقعية لها مكانة في التاريخ وربطها بالجانب التخييلي، حتى يحقق وظيفة الإيهام بالواقع، وبهذا يصبح النص حمال دلالات معبأ بالمعاني.

– توظيف اللغة المعبرة عن تشظي الذات وتشتتها، معبرة عن الرفض، لغة تلمح أحيانا و تصرح أحيانا أخرى، تغير من تعاريج النص وتضاريسه، تحيك النص وتعيد تمزيقه، حيث طموح المبدع ينزع دائما إلى خلق عالم الممكن من اللاممكن.

قائمة المصادر والمراجع:

reuter, p. c. (1998). *le personnage.* paris: 1ere puplicationp:08.

reuter, p. c. (1998). *le personnage.* paris: 1ere publication.p:11-12 .

ابراهيم صحراوي. (1999). *تحليل الخطاب الأدبي*. الجزائر: دار الآفاق.ص:161

أحمد مجاهد. (1998). *أشكال التناص الشعري*. مصر: الهيأة المصرية العامة للكتاب.ص:355

أحمد مرشد. (2005). *البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله*. مصر: المؤسسة العربية للدراسات والنشرص: 40.

عزالدين جلاوجي.*راس المحنة 2004*الجزائر،دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع.ص:14

عزالدين جلاوجي: راس المحنة.2004.دار هومة للنشر والتوزيع،ص:30-31

عزالدين جلاوجي: راس المحنة.2004.دار هومة للنشر والتوزيع.ص:56-57

عزالدين جلاوجي: راس المحنة.2004.دار هومة للنشر والتوزيع،ص:57

عزالدين حلاوجي: راس المحنة،2004.دار هومة للنشر والتوزيع،ص:259

عزالدين جلاوجي:راس المحنة.2004.دار هومة للنشر والتوزيع،ص:261

رولان بارت. (1980). *التحليل البنيوي للسرد*. المغرب: منشورات اتحاد كتاب المغرب.ص:9

الصادق قسومة: 2000.طرائق تحليل القصة،تونس، دار الجنوب للنشر،ص:101

طه وادي. (1973). *صورة المرأة في الرواية المعاصرة*. القاهرة: مركز كتب الشرق الأوسط.ص:53

عبد الحميد بورايو. (2007). *الأدب الشعبي الجزائري*. الجزائر: دار القصبة.ص:121

عبد الرحيم حمدان. (2011). *بناء الشخصية الرئيسية في رواية عمر يظهر في القدس لنجيب الكيلاني*. فلسطين: الجامعة الاسلامية بغزة.ص:128

عبد الفتاح الديدي. (1990). *الحيال الحركي في الأدب النقدي*. مصر: الهيئة المصرية للكتاب.ص:11

عبد الفتاح عثمان. (1982). *بناء الرواية*. مصر: مكتبة الشباب.ص:121

فاضل ثامر. (1994). *اللغة الثانية في اشكالية المنهج والنظرية*. مصر: المركز الثقافي العربي.ص:211

فيصل دراج وآخرون. (1999). *أفق التحولات في الرواية العربية*. بيروت: المؤسسة العربية للنشر.ص:86-87

فيليب هامون. (1990). *سيميولوجية الشخصيات الروائية*. الرباط: دار الكلام.ص: 30

محمد عزام. (1996). *النقد والدلالة*. سورية: منشوران وزارة الثقافة.ص:68

منصور النعمان. (1999). *فن كتابة الدراما للمسرح والإذاعة والتلفزيون*. الأردن: دار الكندي للنشر والتوزيع.ص:99

مها القصراوي. (2004). *الزمن في الرواية العربية*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.ص:247

نادر أحمد عبد الخالق. (2009). *الشخصية الروائية بين علي باكثير ونجيب الكيلاني*. بيروت: دار العلم والايمان.ص:51

يسرى عبد الله. (2009). *بين السيرة الشعبية والقصص الشعبية*. السعودية: مؤسسة السديري الخيرية.ص:38